ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره

شرح الوافية نظم الكافية

لأبي عمرو عثمان بن الحاجب النحوي

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور موسى بناي علوان العليلي

مطبعة الآداب في النجف الأشرف

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه اجمعين

تقديم

لم نجد لغة في شرق الارض وغربها ، قيض الله لها من يخدمها خدمة متواصلة غير اللغة العربية ، فهي لغة اعتز بها أهلها في الجاهلية وكرمها الله - سبحانه وتعالى - بنزول القرآن الكريم بها ، فكانت طريق هداية للبشرية جمعاء ، يفدون الى منبعها ، ويتلون الآيات بحروفها ويعبدون الله بألفاظها ، وقد أكب أهلها على دراستها دراسة واعية لبيان فصاحتها وبلاغتها ، ووضعوا لها قواعد وضوابط ، كي يتقنها أبناؤها ، ويتعلمها بسهولة من يدخل في دين الله ، وينضوي تحت لوائها من يقتبس من أدب العرب ومعارفهم ، فألفت فيها الاسفار حفاظاً على وحدة كلام ابنائها ، وتسهيلا لمن يتعلمها ويتقنها :

وقد اطلعت الاجيال عل جهود قسم من أولئك الذين نذروا نفوسهم لخدمتها ، ، ولكن القسم الأكبر ما يزال محجوباً عن الانظار بعيداً عن الأيدي ، ينتظر من يخرجه للاجيال المتطلعة اليه ، كي يكون عماداً لنهضتها وتقدمها ، فبالاعتماد على تراث آبائها واجدادها تتمكن من الانطلاق نحو التجديد والابتكار .

وابن الحاجب أحد أولئك الرواد الذين أمدوا هذه الامة بعين ثرة من العلم والأدب ، فقد أفاد طلابه ، ونفع المتأخرين الذين جاءوا بعده

لذلك نجد آراءه مبثوثة في مصنفات المتأخرين . وقد كرست جهدي لاظهار كتابه الأول (الايضاح في شرح المفصل) وإذا تم نشره فسوف يستفيد منه الباحثون في مادة النحو والصرف ، وفي هذا الكتاب - شرح الوافية نظم الكافية - الذي نقدمه للقارىء الكريم ، سوف ترى طريقته المنهجية الجديدة ، واسلوبه التعليمي الناجح .

وهو حينما صنف الكافية مرت عليه فترة طويلة في التعليم اتضح له خلالها أن الكافية مع سلامة منهجها وقوة مادتها ، وشمولها لكل أبواب النحو ، فانها أقدم مصنف وضعه ، فهي محتاجة إلى أن يضيف اليها ما اكتسبه من خبرات وآراء ، خلال خدمته التعليمية التي مارسها في تلك الفترة ، ولكونها انتشرت بين الباحثين ، وشرحها المعاصرون له ، كان الصعب عليه أن يضيف اليها شيئاً ، فأضاف ما بدا له من آراء واستدراكات في شرحه للوافية ، فكان شرح الوافية خلاصة لتجربته التعليمية الطويلة ، لذلك جاء الشرح جديداً في منهجه ، جديداً في مادته ، مما جعل الذين جاءوا بعده يتابعونه فيه ، أمثال ابن الناظم بدر الدين محمد (ت ٦٨٦) وابن عقيل بهاء الدين عبد الله (ت ٧٦٩) في شرح الفية ابن مالك .

وقبل أن يناقش البحث طريقة شرح الكتاب ومادته ، عرض بصورة موجزة لحياة ابن الحاجب ، وثقافته ، وشيوخه ، وطلابه ، ومصنفاته ، ثم تناول الكافية وأهميتها بين النحاة وشروحها ، وللوافية وقارن بين الوافية والكافية ، وقارن بين شرح الوافية وشرح الكافية وأوضح نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما .

بعد ذلك عرض البحث للدليل عند ابن الحاجب وكيفية استعماله داعماً ذلك بالأمثلة المقتبسة من الشرح : ولما كانت للعلة أثراً من آثار

الفلسفة ، فقد تناول البحث أنواع العلل المستعملة ، ومن استعملها من النحاة الأوائل ، ودور ابن الحاجب في استعمالها ، وكان الموضوع الأخير الذي نوقش في هذه الدراسة مذهب ابن الحاجب ، ولما كان من أبرز المذاهب النحوية المعروفة مذهب البصريين والكوفيين ، فقد توصلنا الى أن ابن الحاجب لم يتبع احدى المدرستين المشهورتين ، وما قيل عنه من أنه يستعمل عبارات الانتماء للمذهب البصري لا يقوم عليه الدليل ، وقد اتضح لنا أن طريقته في المناقشات تعتمد على المزج والاختيار ، وأنه ابرز من سار في طريق الاتجاه التعليمي ، بمنهجه واسلوبه في عرض الآراء ، وكان ظهور هذا المنهج واضحاً بصورة جلية في شرح الوافية نظم الكافية ، لأنه آخر مصنفاته النحوية (١) كما أنه سار فيه في طريقة تسهيل المادة النحوية للباحثين ، وقد تابعه المتأخرون في هذه الطريقه ، فاشتهرت على السنتهم ، ولم تعرف عن ابن الحاجب لجهل الناس بمصنفاته ، حيث لم يعرف منها إلا متن

---

(١) قال ابن كثير : (ثم خرج الشيخان - ابن الحاجب والعز ابن عبد السلام - من دمشق ، فقد قصد ابو عمرو الناصر داود بالكرك ، ودخل الشيخ عز الدين الديار المصرية ، البداية والنهاية أحداث سنة (٦٣٨ هـ) :

ولما كان خروج ابن الحاجب من دمشق الى الكرك سنة (٦٣٨ هـ) وكانت وفاته سنة (٦٤٦ هـ) فتكون الفترة بين خروجه ووفاته هي التي نظم فيها الكافية وشرح الوافية ، يضاف الى ذلك تصحيحه في شرح الوافية للآراء التي ذكرها في شرح الكافية وشرح المفصل ، وسوف نعرض لها في المستقبل .

الكافية ، وبعد أن ينشر كتاباه (لايضاح في شرح المفصل) و (شرح الوافية نظم الكافية) سيتضح للباحثين أن ابن الحاجب كان رائداً للمنهج التعليمي القويم ، وطريقة تسهيل النحو على المتعلمين ، اضافة لآرائه النحوية التي انفرد بها ، وبذلك تكون معرفتنا لما قدمه السلف الصالح دافعاً لنا نحو التجديد والابتكار ، والله الموفق لطريق الحق والصواب .

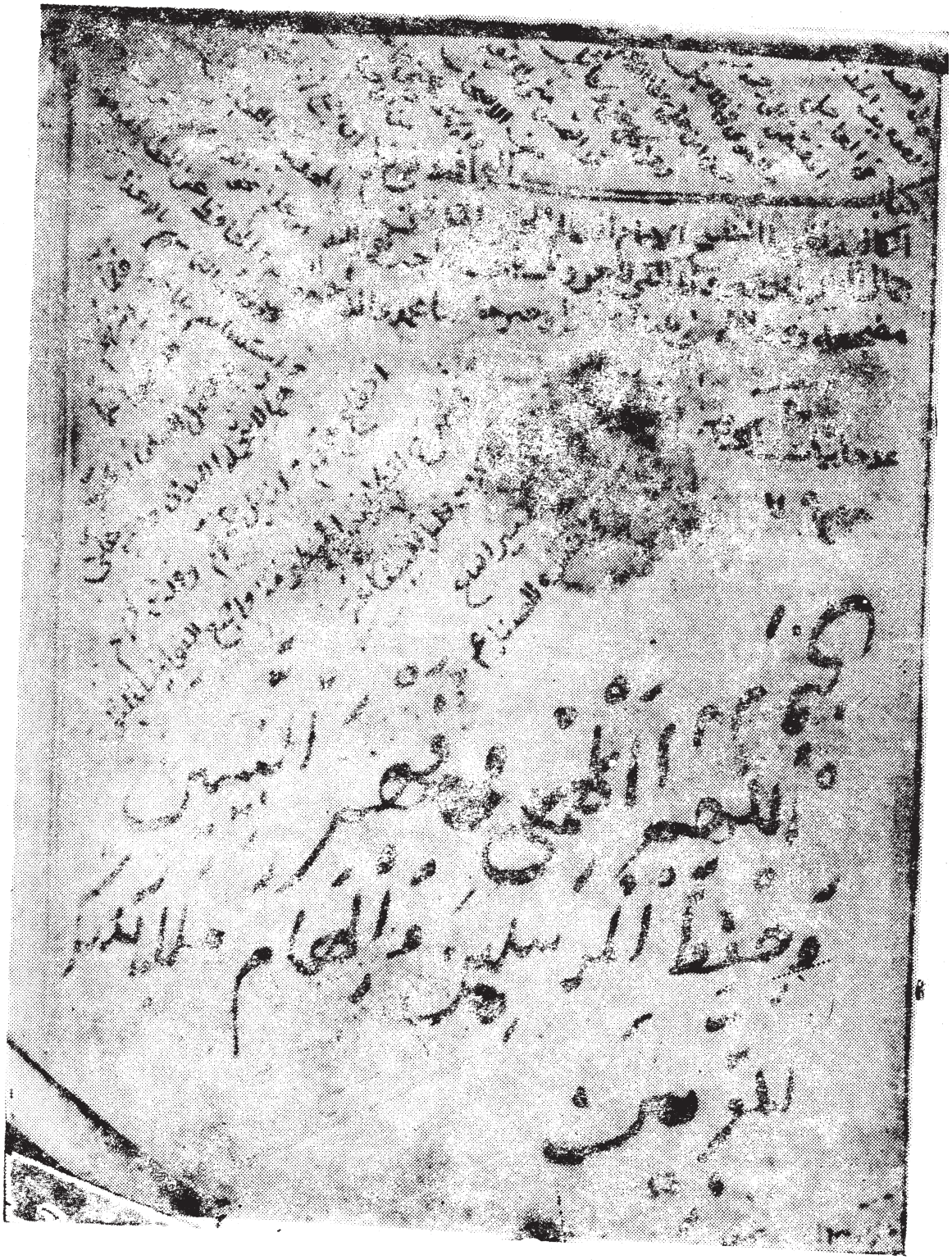

الورقة الاولى من (ل)

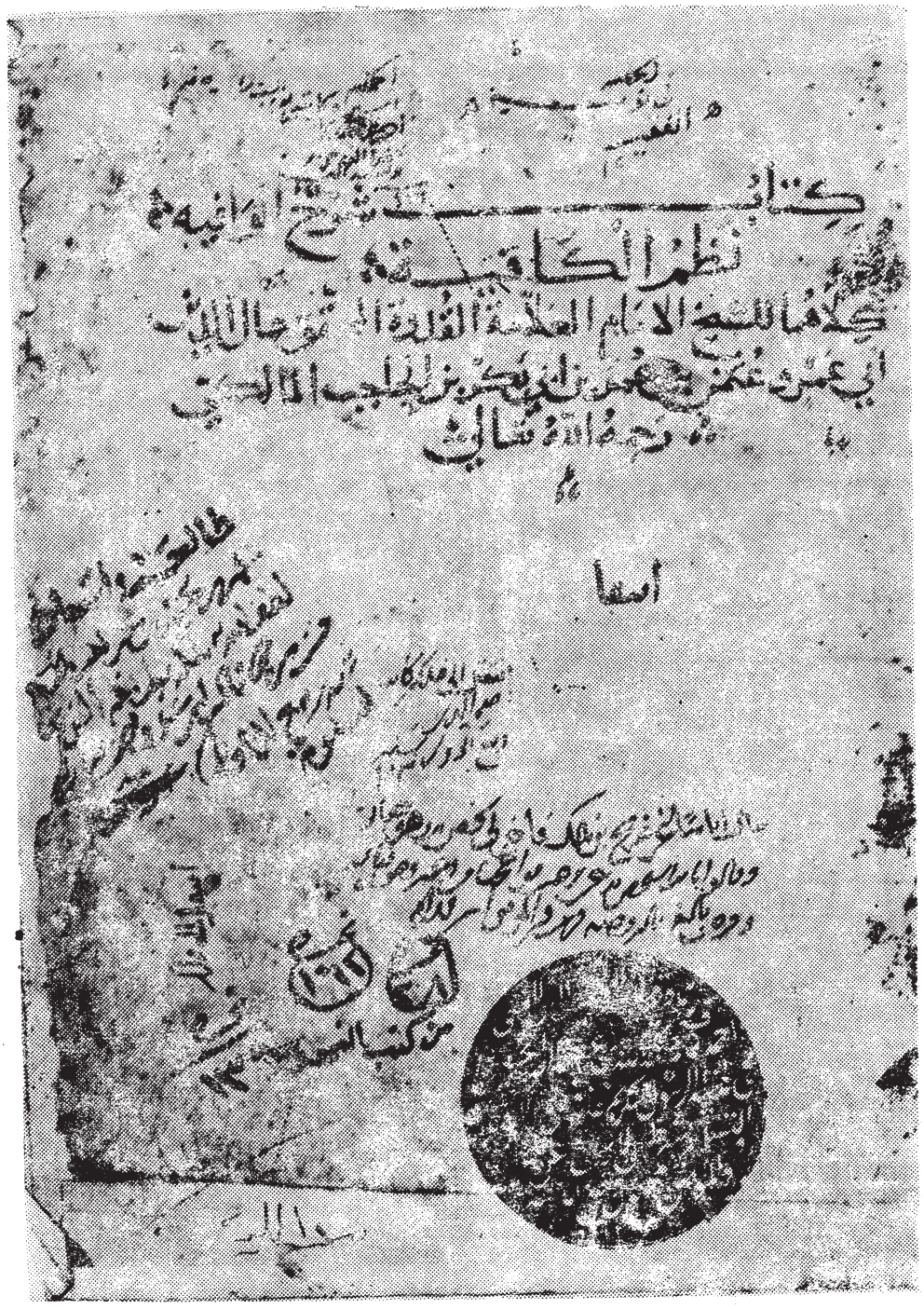

الورقة الاولى من الاصل

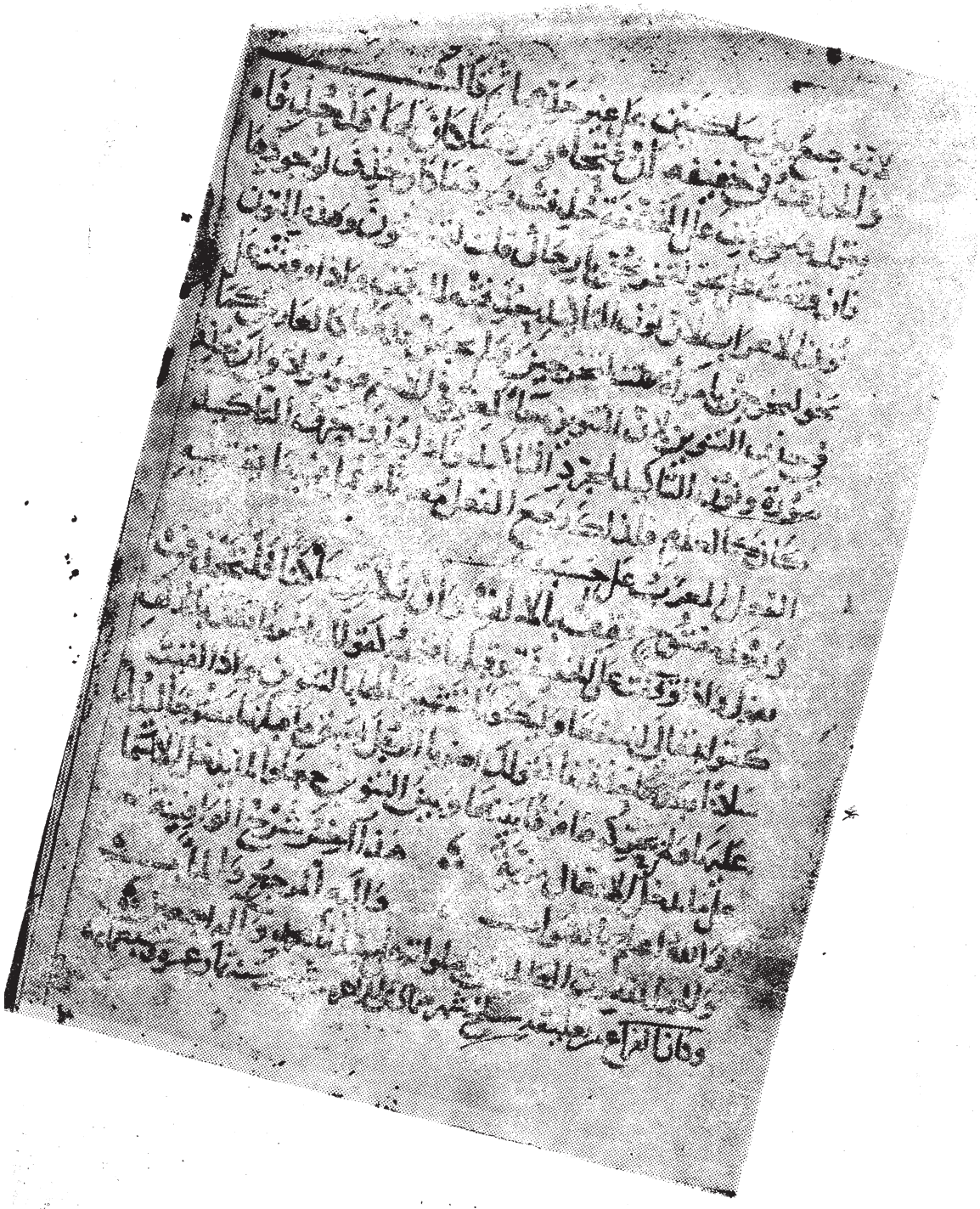

الورقة الاخيرة من الاصل

تمهيد

١ ـ اسمه ، ونسبه ، وكنيته

٢ ـ عائلته

٣ ـ عقيدته

٤ ـ ثقافته العلمية

٥ ـ اساتذته وطلابه

٦ ـ علاقته بالملك الناصر داود

٧ ـ آثاره

اسمه ونسبه وكنيته

هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدويني الاسنائي المالكي ، المعروف بابن الحاجب (١) من اسرة كانت تسكن في الجهة الشمالية الشرقية لحدود العراق في بلدة دوين ، قال ياقوت : « دوين بفتح أوله وكسر ثانية وياء مثناة من تحت ساكنة وآخره نون : بلدة من نواحي آران في آخر حدود اذربيجان بالقرب من تفليس ، منها ملوك الشام بنو أيوب (٢) » من اجل ذلك جاءت نسبته الى دوين ، لأن اسرته كانت تسكن فيها ، وبعد أن انتقلت تلك الاسرة الى الشام مع الايوبيين ، توجهت الى مصر ، وسكنت في بلدة إسنا في الصعيد الأعلى ، وفي هذه المدينة ولد عثمان بن عمر ابن أبي بكر ، ونسب اليها ، فكانت المدينة الثانية من حيث النسبة وكانت ولادته في أواخر سنة (٥٧٠ هـ) .

ويكنى بابن الحاجب ، لأن أباه كان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي ، خال صلاح الدين الأيوبي (٣) وكانت وظيفة الحاجب في ذلك الوقت من الوظائف المهمة ، فكان الحاجب يتولى ادخال

---

(١) الذيل على الروضتين ، أبو شامة (ط ١٩٤٨ م) ص ١٨٢ وفيات الاعيان لابن خلكان ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ٢/ ٤١٣ الطالع السعيد ص ١٨٨ ، الديباج المذهب ص ١٨٩ ، غاية النهاية ٥٠٨/١ ، النجوم الزاهرة ٣٦٠/٦ ، مفتاح السعادة ١١٧/١ ، شذرات الذهب ٢٣٤/٥ ، دائرة المعارف الاسلامية (ط ١٩٣٣ م) ٢ /٤٢٦.

(٢) معجم البلدان (ط ١٩٠٦ م) ١١٢/٤ .

(٣) النجوم الزاهرة ١١٠/٦ .

الناس على السلطان ، وهو جالس في قصره بالقلعة ، وإنه يراعي مقام هؤلاء الناس ، واهمية أعمال كل واحد منهم ، ومن اختصاصه أيضاً القضاء بين الأمراء والجند ، إما بنفسه أو باستشارة السلطان أو النائب (١) .

يتضح من ذلك أن ابن الحاجب عاش في عائلة غنية ، لأنها من حاشية السلطان ، والمعروف أن الحاشية في تلك الفترة لها امتيازات تختلف عن الامتيازات التي يتمتع بها بقية أفراد الشعب ، وتربى في اسرته ، وتلقى تعليمه في القاهرة على يد أشهر شيوخها في ذلك الوقت ، أمثال الشاطبي ، والبوصيري والغزنوي ، وأبي الجود ، وبذلك يكون قد نشأ وتربى في بيئة علمية أثارت في نفسه حب البحث والتتبع ، حتى أصبح يضرب به المثل .

عائلة ابن الحاجب

لم يعرض الذين ترجموا لابن الحاجب الى أنه متزوج ، وله أولاد ولا الذين كتبوا عنه (٢) حديثاً ، كما أنه لم يشر الى ذلك في مصنفاته ولما كان فقيهاً والفقهاء يتبعون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،

---

(١) مصر في القرون الوسطى ص ٣٤٧ - ٣٦٢ .

(٢) كتبت عن ابن الحاجب رسالة دكتوراه في كلية الآداب جامعة القاهرة (ابن الحاجب في اماليه النحوية) لمحمد هاشم عبد الدائم، ورسالة ماجستير (ابن الحاجب واثره في الدراسات الصرفية) في كلية دار العلوم ، لعبد القادر عبد ، وفي العراق (ابن الحاجب النحوي) لطارق عبد عون الجنابي ، (الايضاح في شرح المفصل لابن الحاجب)دراسة وتحقيق لموسى الأملبي في القاهرة .

فلابد أن يكون متزوجاً ، ويظهر لي أنه كان متزوجاً وله بنت متزوجة كما يوحي بذلك نص ابن أبي شامة المقدسي ، وهو من المعاصرين له قال : « وأخبرني صهره الكحال أحمد بن سليمان إنه دفن خارج الاسكندرية في المقبرة التي بين المنارة قرب قبر الشيخ ابن أبي شامة » (١) .

والمعروف أن الصهر هو زوج البنت ، وكان من الطبيعي أنه يحضر التشييع والدفن ، ولا سيما اذا كان معه في نفس المدينة ، وبذلك نتوصل الى أنه أنجب ، ولكنه لم تكن لأولاده شهرة ، كي يترجم لهم ويحتمل أن يكون احدهم عمرو الذي يكنى به .

عقيدته وفقهه

إن الذي يلاحظ اساتذة ابن الحاجب يجدهم من الفقهاء والمحدثين مما يدل على أنه اتجه في اول دراسته وجهة فقهية ، وبعد ذلك اشتهر بالنحو والصرف ، فقد درس مذهب الامام مالك رضي الله عنه دراسة واعية ، ونبغ فيه ، وكان من شيوخ المذهب المبرزين حتى إنه لم يبرز غيره في تلك الفترة ، وتظهر شهرته من تصدره لحلقاتهم المشهورة في مصر والشام ، فقد كان مدرساً في زاوية المالكية في الجامع الاموي ، ومرجعاً لهم في مصر ، وقد ألف كتاباً في عقيدته سمي بعقيدة ابن الحاجب (٢) وصنف كتاب (جامع الامهات) الذي كان أهم كتاب فقه للمالكية في تلك الفترة ، بشهادة العلماء ، قال الشيخ تقي الدين

---

(١) ترجمة رجال القرنين ص ١٨٢ .

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة ١١٥٧/٢ .